الخصائص المميزة الرئيسة للمعجمية العربية (*)

د. علي القاسمي (**)

1 – الخلاصة

تعالج هذه الدراسة تطور المعجم العربي، ليس وفْقاً للتسلسل التاريخي البحت وإنما بطريقة موضوعية كذلك، فتتطرق إلى المشكلات الرئيسة التي واجهها المعجميون العرب مثل: العلاقة بين القاموس والمعجم (أو، بعبارة أخرى اختيار المداخل)، وترتيب المداخل، وترتيب الاشتقاقات من الجذر، وترتيب المعاني المختلفة لكلمة المدخل، وغيرها من المشكلات التي بذل أولئك المعجميون جهوداً جبارة لتسويتها، لكن حل بعضها يبدو حتى يومنا هذا بعيد المنال.

ومن جهة ثانية فإن الدراسة تسلط الضوء على خصائص المعاجم العربية مثل، تزويد القارئ بالمعلومات الصوتية والصرفية والدلالية الوافية. كما تتناول المعلومات التكميلية في المعجم مثل: أسماء الأعلام، والشواهد التوضيحية، والرموز الخاصة بمستويات الاستعمال، وهي معلومات تعد جزءاً أساسياً من التقاليد المعجمية باللغة العربية.

2– الخلفية التاريخية للمعجمية العربية

2.1– متطلبات المعجمية واحتياجاتها:

ظهرت المعجمية– مثل أي نشاط ثقافي أو علمي– استجابة لاحتياجات عملية معينة، بعد أن توفرت شروط وجودها ومتطلباته، فالمعاجم أدوات معرفية تزود مستعملها بمعلومات محددة هو بحاجة إليها. ويدل وجود عدد كبير من المعاجم الحالية ذات الأصناف المختلفة على تنوع احتياجات المستعملين الذين صُنعت لخدمتهم. لقد استدعى إعداد المعاجم لأول مرة، وإن كانت في صيغة بدائية، احتياجات ما زالت قائمة، فقد ظهرت المعاجم القديمة إلى الوجود لمساعدة الناس على استيعاب نصوص مكتوبة في لغتهم، أو فهم لغات شعوب أخرى تتصل بهم.

أما الشروط الأساسية لوجود المعاجم، والمتطلبات الضرورية لإعدادها، فتنحصر في توافر نظام كتابي، وتمدرس يسهّل تعلّم ذلك النظام وانتشاره. وإذا كانت معاجم اليوم إما مطبوعة وإما محوسبة، فإن الكتابة تبقى في كلا النوعين وسيلة التدوين التي لا غنى عنها. ولهذا فإن الجماعات البشرية ذات التقاليد الشفوية

(*) أعدت هذه الدراسة أصلا باللغة الإنجليزية وألقيت في المؤتمر العالمي الذي عقد في سيرلانكا في ديسمبر 1992، بمناسبة إتمام تصنيف معجم اللغة السنهالية المؤلف من 25 مجلداً والذي استغرق إعداده حوالي مئة عام.

(**) مدير الأمانة العامة لاتحاد جامعات العالم الإسلامي – الإيسيسكو – الرباط

والتي لا تمتلك نظاماً كتابياً للغتها ليس بوسعها إنتاج المعاجم. تستطيع تلك الجماعات إنتاج تراث شعري ضخم متداول، ولكن لايمكنها إعداد معجم صغير متكامل. ومن ناحية أخرى، فإن محتوى معاجم شعب من الشعوب يُفصح عن المستوى الثقافي الذي بلغه ذلك الشعب.

2.2- البلاد العربية مهد صناعة المعجم:

توافرت متطلبات ظهور أول معجم في تاريخ البشرية المعروف، في البلاد العربية، ونتيجة لذلك فقد ولد فيها أقدم معجم عثر عليه لحد الآن.

لقد اخترعت الكتابة المسمارية في بلاد ما بين النهرين (العراق) والكتابة الهيلوغريفية في مصر، وذلك في الألف الرابعة قبل الميلاد. وتم تطوير أول ألفباء عرفتها الإنسانية في سوريا وفلسطين ومنها أخذت الألفباء الإغريقية واللاتينية[1]. ومعروف لدى جميع اللغويين أن أسماء الحروف الإغريقية: ألفا، بتا، جاما، الخ. إنما تمثل أسماء عربية هي : الأليف، والبيت، والجمل، الخ. التي كانت تشكل رسومها علامات الألفباء.

لقد وضع السومريون بذور المدنية الحديثة في جنوبي بلاد الرافدين قبل أكثر من خمسة الآف عام، فطوروا الزراعة، واخترعوا العجلة، وابتدعوا الكتابة، وأنشأوا المدارس ، وأسسوا المكتبات، وأنتجوا أدبا وفنونا جميلة راقية، وازدهرت المدارس في المدن السومرية مثل أور، وأريدو، ولارسا، وأوروك، وكيش، ولكش، ونيبور.

كان الأطفال السومريون في تلك المدارس، ينسخون قوائم العلامات المسمارية ومعانيها على رقم طينية، ويحمل كثير من هذه الرقم الطينية، التي اكتشفها علماء الآثار مؤخراً، العلامات المسمارية ومعانيها أو شروحها، مصنفة تحت رؤوس الموضوعات مثل: المهن، والعلاقات العائلية، ومكانة الأطفال، الخ. وكان استنساخ هذه القوائم يحقق غرضين في آن واحد: التمرن على الكتابة واكتساب المعرفة.

وضم الأكديون أرض سومر إلى مملكتهم حوالي عام 2350ق.م. فوحّدوا بلاد الرافدين تحت قيادتهم. واختار ملكهم العظيم حمورابي (1728–1686 ق.م) بابل لتكون عاصمة الإمبراطورية الجديدة. ولما كان الأكديون قد احتووا الحضارة السومرية وتعلموا اللغة السومرية التي تختلف عن لغتهم، فقد كان على تلاميذ المدارس أن يستعملوا نوعاً من المسارد الثنائية اللغة تضم العلامات المسمارية السومرية ومقابلاتها الآشورية. وتتكون بعض الرقم الطينية، التي عثر عليها علماء الأشوريات في العراق، من أربعة أعمدة: العلامات السومرية، ومعانيها، ومقابلاتها الآشورية، ومعاني تلك المقابلات[2].

وعلى الرغم من أن مدينة بابل كانت عاصمة الإمبراطورية البابلية فإن مدينة نيبور كانت قاعدتها الدينية ومركزها العلمي. ومن مكتبات نيبور استخرج علماء الآثار مجموعات من ذخائر الدين والآداب والتاريخ، وكذلك مصنفات النحو والمعاجم. وهذا ما حدا

بأحد علماء الآثار الذين شاركوا في الكشف عن تلك المكتبات إلى وصف بلاد ما بين النهرين بأنها ((موطن الكتابة ومهد المدنية)) [3].

من المحتمل أن تكون للمعجمية الصينية والسنسكريتية ما للمعجمية الآشورية من القدم، ولكن أقدم عمل عثر عليه بالصينية هو (إره يا) الذي قد يعود إلى حوالي سنة 200 ق.م، وأقدم عمل في السنسكريتية هو (أماراكوشا) الذي يعود إلى حوالي سنة 500 ق.م [4].

إن بلاد العرب هي مهد المعجمية، وهذه الحقيقة تجد صداها في موسوعة يونيفرسالس الفرنسية التي تؤكد ذلك في مطلع مادتها عن المعجم بقولها:

((ولدت أقدم المعاجم، وغالبا في صيغة بدائية، مع مولد أقدم المدنيات حيث كانت الكتابة قيد الاستعمال في بلاد ما بين النهرين، في الألف الثانية قبل الميلاد، وفي مصر حوالي 1750 ق.م. وقد جاءت تلك المعاجم استجابة لاحتياجات علمية فرضها التواصل الإنساني بين الجماعات المختلفة. أما المعاجم "العلمية" فلم تظهر إلا بعد ذلك بوقت طويل)) [5].

3- تطور المعجمية العربية:

3.1. الإسلام واللغة العربية

إن تاريخ اللغة العربية الحديث يرتبط ارتباطا وثيقا بمولد الإسلام في جزيرة العرب عام 610م. فقد حث الإسلام على ضرورة التعلم، وعظم أهمية المعرفة، منذ أول سورة من القرآن الكريم نزلت على الرسول محمد (ص):

﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم* علم الإنسان ما لم يعلم * ﴾ [6].

وبعد مرور أقل من قرن واحد على وفاة الرسول (ص)، اتسعت رقعة الإسلام من بلاد الغال في أوربا إلى الهند والتركستان الصينية. ولا يمكن تفسير هذا الانتشار السريع بالقوة العسكرية، وإنما ينبغي أن يعزى إلى القيم الإنسانية التي يمثلها الإسلام مثل قيم السلم، والأخوة، والعدالة، والمعرفة. [7].

وحيثما انتشر الإسلام، انتشر تعليم اللغة العربية وتعملها. فالمسلمون يتلون القرآن الكريم بالعربية، ويصلون بها خمس مرات يوميا. لقد أدت رغبة المسلمين في فهم القرآن الكريم إلى قيام دراسات لغوية متنوعة من ضمنها الدراسات النحوية والمعجمية، وتتفق الأغلبية العظمى من الباحثين في تاريخ المعجمية العربية على أن الدافع الرئيس وراء ظهور المفردات كان فهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف [8].

إن العلاقة بين التمسك بالإسلام وحب اللغة العربية يلخصها الثعالبي (961–1038م) في مقدمة معجمه الشهير (فقه اللغة) وهو من أوائل معاجم المعاني باللغة العربية:

((من أحب الله أحب رسوله المصطفى (ص). ومن أحب النبي العربي أحب العرب. ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب. ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها)) [9].

ولقد أكد كثير من المعجميين أهمية المعجمية

بوصفها أداة فعالة في فهم الشريعة الإسلامية. ومن هؤلاء المعجميين الفيروز آبادي (1326–1414م) صاحب معجم (القاموس) الذي أصبح عنوانه مرادفا لكلمة (المعجم). وفي حقيقة الأمر، أن عددا من رواد المعجمية العربية كانوا أصلا من المفسرين والفقهاء. ومن الأمثلة على هؤلاء العلماء: الأزهري (893–981م) الذي ساعده تفسيره للقرآن الكريم على اقتباس معظم شواهد معجمه (تهذيب اللغة) من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والزمخشري (1075–1144م) الذي ألف تفسيرا مشهورا بالإضافة إلى معجم متداول حتى يومنا هذا بعنوان (أساس البلاغة).

وإذا كان القرآن الكريم قد حفظ اللغة العربية الفصحى وأبقى عليها حية، فإن المعاجم ساعدت كثيرا على فهم هذه اللغة كما هي مستعملة في القرآن الكريم.

3.2– مراحل تطور المعجمية العربية

لقد مر تطور المعجمية العربية بثلاث مراحل متميزة ولكنها قد تتداخل أحيانا ، وهي:

أ) استخدام المخبرين اللغويين:

لقد توجه اللغويون، الذين كانوا عادة من أبناء المدن، إلى البادية لمشافهة الأعراب ممن تتسم لغتهم بالفصاحة، وسجلوا الألفاظ التي يستعملونها ليس طبقا لنظام أو تصنيف معين وإنما حسب ما سمعوها منهم. وتزخر كتب التاريخ واللغة العربية بحكايات هؤلاء اللغويين الذين رحلوا إلى البادية لمشافهة أبنائها.

ومن أشهر هؤلاء اللغوين الأصمعي(739–831 م)، وأبو عبيدة (728–824م). ومعروف أن استخدام المخبرين اللغويين هو من تقاليد علم اللغة الحديث في أوربا وأمريكا ولم يستخدم فيهما إلا في أوائل القرن العشرين.

ب) جمع المفردات:

وتتمثل المرحلة الثانية في تصنيف المفردات التي جمعت من الأعراب في البادية تحت رؤوس موضوعات مختارة مثل: المطر، اللبن، النخيل، الكرم، الوحش، الخيل، الخ. وخلال هذه المرحلة، صنف الأصمعي كتيبات حول موضوعات مختلفة مثل صفات الإنسان، والملابس، والخيل والجمال، والشاة، والبيوت، والأسلحة، والنبات، والأشجار.وصنف أبو عبيدة عدة كتيبات عن الخيل، والجمال، والصقور، والحمام، والأفاعي، والنوادر.

ج) صناعة المعجم:

وفي هذه المرحلة انكب اللغويون على تصنيف المعاجم المتكاملة. وظهر أول معجم بالبصرة على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (718–786م). ولما لم يكن هنالك معجم سابق ليتخذه الخليل نموذجا يحتذى، فقد اضطر إلى دراسة جميع مشكلات المعجمية العربية وإيجاد حلول لها[10].

3.3– الأصناف النوعية للمعاجم العربية:

كان المعجم العربي أحادي اللغة حتى القرن التاسع عشر الميلادي، ما عدا بعض الاستثناءات مثل المعجم العربي– الفارسي الذي ألفه الزمخشري. ولا يعني هذا أن بقية الأمم لم تصنف معاجم ثنائية أو متعددة اللغة

تكون العربية فيها لغة المتن أو لغة الشرح. ففي أوربا، ألف عدد من المستشرقين مثل هذه المعاجم، منهم يعقوب غوليوس Jacobus Golius (1596–1667م) الذي ألف المعجم العربي–اللاتيني الذي نشر في لايدن عام 1653م، وأدورد كاستل Edward Castell (1608–1685) الذي ألف معجما متعدد اللغات من بينها العربية وجورج ويلهلم فريتاغ G.W. Freytag (1788-1861) الذي نشر معجما عربيا– لاتينيا بأربعة مجلدات في مدينة هاله بين عامي 1830 و1837[11]. ولكن هذه المعاجم لم تؤثر في تطور المعجمية العربية أو تغير مسارات صناعة المعجم العربي.

وعلى أي حال، فإن المعاجم العربية الأحادية اللغة تغطي جميع الأصناف النوعية المعجمية المعروفة. وقد انشغل الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال، أحد علماء مراكش، في إعداد ببليوغرافية مصنفة للمعاجم العربية، فتمكن من جمع حوالي ألفي عنوان، على الرغم من أن عمله ليس جامعا شاملا [12].

لقد أجاد المعجميون العرب في جميع أصناف المعاجم التي ألفوها، عامة كانت أو متخصصة، لغوية أو موسوعية، وصفية أو تاريخية.

3.4 عالمية المعجمية العربية

عندما نتحدث عن المعجمية العربية، لا نقصد المعاجم العربية التي ألفها لغويون عرب فقط، وإنما نعني جميع المعاجم العربية الأحادية اللغة التي ألفها لغويون عرب أو غير عرب. فالإسلام لا يميز بين الناس على أساس الرس، أو الجنس، أو اللون، أو المعتقد، وإنما على أساس التقوى، ويشكل جميع المسلمين أمة واحدة .ف (لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى) [13]. أو كما ورد في القرآن الكريم ﴿ وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾. [14]

ولتوضيح حقيقة أن المعاجم العربية صنفها لغويون من جميع بلاد الإسلام،عربا كانوا أو غير عرب، نقدم الجدول التالي[15] الذي يشتمل على أشهر اثني عشر معجما باللغة العربية مع أسماء مؤلفيها وأماكن ولادتهم وتواريخها، ولا يعني مكان الولادة أن المؤلف عاش فيه طوال عمره، أو أن المعجم قد ألف في ذلك المكان، فقد كان معظم العلماء يرتحلون طلبا للعلم والعمل. ومن الأمثلة على هذه الظاهرة أن أبا علي القالي مؤلف معجم(البارع)قد ولد في قالي قلا– منزجرد (أرمينيا)،ودرس في بغداد(العراق) واستقر وعمل في قرطبة (الأندلس).

الرقم	المعجم	مؤلفه	مكان ولادته	تاريخ ولادته ووفاته م
1	العين	الخليل بن أحمد	عُمان	786-718
2	البارع	أبو علي القالي	منـزجرد (أرمينيا)	967-893
3	الجمهرة	ابن دريد	بغداد (العراق)	933-837
4	تهذيب اللغة	أبو منصور الأزهري	صرات (خراسان)	931-893
5	الصحاح	إسماعيل الجوهري	فاراب (تركيا)	1003 -?
7و6	أ - المجمل	ابن فارس	قزوين (الخزر)	1004-941
	ب - المقاييس			
8	المحكم	ابن سيدة	مرسية (الأندلس)	1066-1007
9	أساس البلاغة	الزمخشري	زمخشر (خيفا)	1144-1075
10	لسان العرب	ابن منظور	مصر	1311-1232
11	القاموس المحيط	الفيروز آبادي	قازان (إيران)	1414-1326
12	تاج العروس	الزبيدي	زبيد (اليمن)	1790-1732

وفي القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، أسهم بعض المستشرقين الأوربيين في المعجمية العربية، مثل دوزي (1820-1883) الذي ألف (تكملة المعاجم العربية)، وأدورد وليم لين (1801-1876) الذي ألف (مدّ القاموس)، وهو معجم عربي- إنجليزي في ثمانية مجلدات [16].

4- الصعوبات التي تواجهها المعجمية العربية

في أثناء البحث من أجل إنتاج المعجم المثالي، واجه المعجميون العرب مجموعة من الصعوبات، أهمها:

4.1 اختيار المداخل:

يواجه المعجميون المعاصرون، أينما وجدوا، قضية حيوية في صلب مهنتهم، ألا وهي قضية العلاقة بين قاموس اللغة ومعجمها. وبعبارة أخرى، كم من المادة اللغوية ينبغي على المعجمي أن يضمّنها في معجمه على شكل مداخل؟وكيف ينبغي أن ترتب تلك المادة؟ [17]

هل نعرّف المعجم بأنه ((كتاب يضم مفردات لغوية...)) كما في (الموسوعة البريطانية) [18]، أم نعرفه بأنه ((كتاب يضم مفردات اللغة...)) كما يقول (معجم أكسفورد للمتعلمين المتقدمين)؟ [19]. فطبقاً للتعريف الأول فإن عدداً معينا من الكلمات يدخل في المعجم، في حين أن التعريف الثاني يفترض دخول جميع كلمات اللغة في المعجم.

تفتقت عبقرية أبي المعجم العربي، الخليل بن أحمد الفراهيدي (718-786م) عن طريقة مبتكرة [20] (أو عن "برنامج" بلغة المعلوماتيين والحاسوبيين المعاصرين) يستطيع من خلالها إحصاء جميع المفردات الممكنة في اللغة العربية. وقد بسط هذه الطريقة في المقدمة التي دبجها لمعجمه (العين). ونظراً لأن المعجم يشتمل على أخطاء لغوية لا يمكن أن تفوت لغوياً فذاً

كالخليل، ولأن مداخله تشير إلى بعض الأعلام الذين عاشوا بعد عصر الخليل، فإن بعض الباحثين المعاصرين يفترضون أن الخليل لم يكتب من المعجم سوى مقدمته وهيكله، ثم أكمله تلامذته وعلى الأخص الليث (؟- 796م)، ولكن من المحتمل جدا أن تلك الهفوات وأسماء الأعلام المتأخرة هي من فعل النساخ[21].

تحدد طريقة الخليل أولا أنواع الجذور المكنة في اللغة العربية، فالجذور ثنائية أو ثلاثية أو رباعية أو خماسية الحروف.ثم أخذ الخليل كل حرف من الحروف الهجائية العربية الثمانية والعشرين، وقلبه مع بقية الحروف، مسجلا الجذور التي تشتمل على ذلك الحرف. وهكذا فكل حرف في الجذر الثلاثي يدخل في تشكيلات مع الحرفين الآخرين لينتج عن ذلك ستة جذور. فمثلا تقليبات الجذر (ع ر ب)، تنتج عنه الجذور الستة التالية:

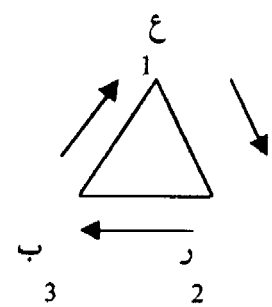

1+2-3= عرب

1+3+2= عبر

2+1+3= رعب

2+3+1= ربع

3+1+2= بعر

3+2+1= برع [22]

وهذه الجذور الستة جميعها مستعملة في اللغة العربية. ولكن في حالات أخرى، نجد أن بعض الجذور المحتملة غير مستعملة (أي مهملة باصطلاح الخليل)، بسبب قيود صوتية.

وهكذا، فإن الخليل قد أبدع طريقة لتسجيل جميع مفردات اللغة. وأثرت طريقته وطموحه في أجيال متعاقبة من المعجميين بعده.وقد لزم للتخلص من هذه الطريقة المعتمدة جهد كثير وشجاعة كبيرة.

وما زال المعجميون العرب اليوم، مثل زملائهم في جميع أنحاء العالم، يواجهون مشكلة اختيار مداخل المعجم العام. وحتى عندما يتم تحديد غرض المعجم، فإن علماء اللغة التطبيقيين لم يتوصلوا إلى قواعد علمية أو مبادئ معلومة تحكم اختيار المداخل، ولهذا السبب يميل بعض الباحثين إلى القول بأن المعجمية ليست علما وإنما مجرد فن.

4.2- ترتيب المداخل:

إن مشكلة ترتيب المداخل في المعجم العربي لم تحل لحد الآن. فقبل سنوات قليلة، واجه مؤلفو المعجم العربي الأساسي الذي نشرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1989، صعوبة كبيرة في اتخاذ القرار المناسب حول ترتيب مداخل المعجم.فعلى الرغم من أنهم اتفقوا على تبني الترتيب الألفبائي، اختلفوا حول ما إذا كان ينبغي أن تتألف مداخل معجمهم من جذور أو مفردات، ترتب ألفبائيا.

كانت جميع المعاجم العربية تقريبا، حتى القرن العشرين، تنطلق من الجذور وترتبها طبقا لترتيب أو لآخر. وتتمثل أهم فوائد الترتيب الجذري في تجميع شمل العائلة اللفظية في مدخل واحد مما يجعل التعريفات أقصر وأيسر على الفهم.مع ذلك فإن للترتيب الجذري مساوئ عديدة وفي طليعتها أن كثيراً من المتعلمين وغير المتخصصين لا يستطيعون استخلاص الجذر من الكلمة التي يبحثون عن معناها في المعجم. فبعضهم لا يعرف أن جذر كلمة(استعلامات) هو (ع ل م)، وجذر كلمة (تيمم) هو (ي م م)، وجذر كلمة (مُناخ) هو (ن و خ) . وهكذا تتفاقم صعوبة استعمال المعجم. وثانيا، إن كثيراً من الكلمات المعرّبة لا جذر لها فنضطر إلى إدراجها في المعجم ألفبائياً، مثل (سنتمتر) و (منجنيق) و (رادار) الخ. وثالثاً، توجد كلمات عربية لا يقطع حتى المعجميون في جذرها الحقيقي. فكلمة (ميناء) مثلا يدرجها المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية[23] تحت الجذر (م ن أ) ويدرجها معجم هانزفير[24] تحت (م.أ.ن) ويضعها المعجم العربي الأساسي الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تحت الجذر(ون ي)[24].

لقد مرّ ترتيب مداخل المعجم العربي في خمس مراحل متميزة، على الرغم من تداخل هذه المراحل زمانيا:

4.2.1 الترتيب الهجائي الصوتي مع تقليبات الجذر:

قبل أن يؤلف الخليل بن أحمد الفراهيدي معجمه (العين)، عرفت اللغة العربية ترتيبين لحروفها، وهما:

أ) الترتيب الألفبائي، الذي لا يزال يستخدم بصورة واسعة في إعداد الفهارس والمعاجم. وينتظم هذا الترتيب حروف الهجاء حسب أشكالها، نحو أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي.

ب) الترتيب الأبجدي، الذي يستعمل حالياً على نطاق أضيق من الترتيب السابق، ويستخدم خاصة في ترقيم أجزاء المقال أو البحث، وتجمع الحروف فيه هكذا : أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ

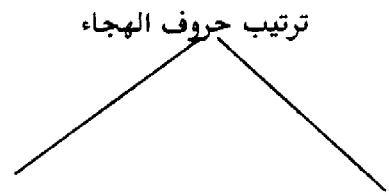

ومع ذلك فإن الخليل لم يختر أياً من الترتيبين لمعجمه (العين). فبدلاً منهما، ابتكر ترتيباً لحروف الهجاء العربية خاصاً به، يعتمد على ترتيب الحروف حسب مخارج نطقها من أقصى الحلق إلى الشفتين، مبتدئاً بالعين. ومن هنا جاءت تسمية المعجم بالحرف الأول منه. وترتب الحروف طبقاً لترتيب الخليل الصوتي على النحو الآتي:

ع، ح، هـ، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، أ، ي.

وقد وزع معجم (العين) على أبواب؛ باب لكل حرف من حروف الهجاء. وفي داخل كل باب، عرضت تقليبات ذلك الحرف مع جميع الحروف الأخرى لتسجيل جميع الجذور التي تشتمل على ذلك الحرف. وبعد ذلك، يقسم كل باب إلى فصول طبقا لعدد أصول الجذور: ثنائي، ثلاثي، رباعي، خماسي. وفي داخل كل فصل يقلب الجذر الواحد لاستعراض الجذور الممكنة الأخرى منه.

وعلى الرغم من أن نظام الخليل في معجمه (العين) معقد وثقيل، فإنه أسهم في تعميق التفكير في طبيعة اللغة وكيفية عملها، وشجع على إجراء البحث الصوتي والمعجمي. ولقد أثر في صناعة المعجم بعده لأكثر من قرنين.

وخلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين، كان نظام الخليل مثالا يحتذيه المعجميون العرب من أمثال أبي علي القالي (893–967) في معجمه (البارع)، وأبي منصور الأزهري (893–981) في معجمه (التهذيب في اللغة)، وهو معجم موسوعي يقع في عشرة مجلدات، ومحمد بن الحسن الزبيدي (المتوفى عام 989) في مختصره لمعجم (العين) الموسوم بـ (مختار العين)، والصاحب بن عباد (938–995) في معجمه (المحيط)، واللساني الأندلسي الضرير ابن سيدة (1007–1066)في معجمه (المحكم والمحيط الأعظم) [25].

4.2.2. الترتيب الألفبائي العادي مع تقليبات الجذر:

وأنجز التطور الثاني في ترتيب مداخل المعجم العربي على يد أبي بكر محمد بن دريد (837–933م)، وهو لغوي بارز وشاعر ولد في بغداد وتوفي فيها. وذكر في مقدمة معجمه (جمهرة اللغة)، أنه لاحظ أن ترتيب حروف الهجاء الصوتي الذي ابتدعه الخليل يسبب صعوبة لغير المختصين، ولهذا فإنه تخلى عنه ورتب معجمه طبقا للترتيب الألفبائي العادي المعروف لدى جميع الناس.

ومن المؤسف أن ابن دريد لم يستطيع التخلص من ترتيب الخليل للجذور، ولا من تقسيمه للجذور طبقا لعدد أصولها: ثنائية وثلاثية، الخ [26].

4.2.3. الترتيب حسب القافية:

وحدث تطور جوهري في ترتيب مداخل المعجم العربي على يد لغوي شهير هو أبو نصر الجوهري (الذي توفي في نيسابور حوالي عام 1003م في محاولة فاشلة للطيران بمساعدة جناحين اصطناعيين). ففي معجمه (الصحاح)، رتب الجذور طبقا لآخر حرف صامت فيها. و يرى بعض الباحثين أن الجوهري قد تأثر بخاله أبي إبراهيم إسحاق الفارابي(المتوفى عام961م) الذي استعمل ترتيب القافية في مسرده (ديوان الأدب)، ليس في الترتيب العام للمسرد، و إنما داخل الفصول الفرعية. وعلى كل، فإن الجوهري قد صرح في مقدمته الوجيزة للمعجم أن ترتيب القافية لم يسبق إليه في صناعة المعجم العربي [27].

وقد قيل أن ترتيب القافية استخدم في المعاجم العربية استجابة لحاجة الشعراء و الكتاب الذين كانوا مغرمين بالسجع في نثرهم .وهناك تفسير آخر مفاده أن

ترتيب القافية يجعل استخدام المعجم أيسر لعامة القراء الذين لا يستطيعون استخراج جذر الكلمة المطلوبة التي قد تخفي حروف الزيادة الحرف الأول في جذرها. وذهب الأستاذ هيوود إلى أن ترتيب القافية في المعجم كان أداة معينة على الحفظ في وقت لم تكن الطباعة متيسرة وكانت المخطوطات غالية الثمن وليست في متناول الجميع [28].

كان معجم الجوهري مقسما على ثمانية وعشرين بابا، كل باب منها خصص لأحد حروف الهجاء العربية. فجميع الجذور التي تنتهي بالحرف باء، مثلا، وضعت في باب واحد. وفي داخل هذا الباب رتبت الجذور ألفبائيا بدءا بالحرف الأول، ثم الذي يليه وهلم جرا. فالجذور (كتب، كذب، كسب) مرتبة في باب واحد ألفبائيا.

ولا تكمن مساهمة الجوهري في تطوير المعجمية العربية في ترتيب القافية الذي اتبعه، وإنما في إلغاء ترتيب الجذور طبقا لعدد أصولها: ثنائي وثلاثي ورباعي وخماسي، وإلغاء الفصل بين الجذور ذوات الحروف الصحيحة والجذور ذوات الحروف المعتلة [29].

حظي معجم الجوهري بإقبال الناس عليه، وصار موضوعا لكثير من المختصرات، والزيادات، والشروح. ولعل أشهر هذه المختصرات معجم (مختار الصحاح) لمؤلفه محمد بن أبي بكر الرازي (المتوفى عام 1268م) الذي ما زال قيد الاستعمال.

ولقد صنف معجمان شهيران على ترتيب القافية هما:

أ- **لسان العرب** لابن منظور (1232-1311م). ويعد هذا المعجم الموسوعي من أكثر المعاجم العربية شمولا، ويقع في عشرين مجلدا.

ب- **القاموس المحيط** لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي (1329-1414م). وقد بلغ هذا المعجم من الشهرة بحيث صار اسمه (القاموس) مرادفا لكلمة (المعجم). وفي الوقت الحاضر يفضل كثير من علماء اللغة العرب المعاصرين استعمال كلمة (قاموس) لتدل على مجمل الثروة اللفظية في اللغة العربية، وكلمة (معجم) لتدل على الكتاب الذي يشتمل على مفردات ومعلومات نحوية ودلالية عنها، في حين يستعمل بعضهم الآخر هذين المصطلحين بالترتيب المعاكس [30].

4.2.4 الترتيب الألفبائي العادي:

يعود أصل الترتيب الألفبائي العادي للجذور المستعمل في عصرنا الحاضر إلى الأعمال المعجمية التي أنجزها ابن فارس (المتوفى حوالي 1004م). فقد ألف معجميه (المقاييس) و(المجمل) على هذا الترتيب. فكل معجم يحتوي على 28 بابا، وكل باب يختص بحرف من حروف الهجاء. ورتبت جميع الجذور ترتيبا ألفبائيا حسب تسلسل حرفها الأول، فالثاني، فالثالث. ومع ذلك فقد قسم ابن فارس كل باب إلى ثلاثة أقسام: الأول للجذور الثنائية، والثاني للجذور الثلاثية، والثالث للجذور التي تتألف من أكثر من ثلاثة أصول.

ولقي ترتيب المعجم العربي الحديث دعما من لدن معجمي شهير آخر هو أبو القاسم محمد

الزمخشري(1075–1144م) في معجمه الوجيز الجيد (أساس البلاغة) الذي يقع في مجلد واحد. وفي هذا المعجم تم استكمال الترتيب الألفبائي الذي يستخدم حاليا في المعاجم المعاصرة. فجميع الجذور، بغض النظر عن عدد أصولها، أدرجت ألفبائيا[31].

وقد اتبعت المعاجم العربية المصنفة في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين ترتيب معجم (أساس البلاغة). ومن أشهر هذه المعاجم الحديثة (محيط المحيط) لبطرس البستاني (1849–1912) و(المنجد) للويس معلوف (1867–1945). كما تبنى هذا الترتيب (المعجم الوسيط) الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1961/1960، و(المعجم العربي الأساسي) الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1989 وكان كاتب هذه السطور منسق فريق العمل الذي تولى إعداده.

4.2.5 الترتيب الألفبائي للكلمات لا الجذور:

وطبقا لهذا الترتيب، فإن مفردات المعجم ترتب ألفبائيا حسب كتابتها ولا تجمع تحت جذورها. وهو الترتيب المتبع في المعاجم الأوروبية والأمريكية الحديثة. وكان الشريف الجرجاني (1340–1433م) أول من استعمل هذا الترتيب في كتابه (التعريفات).

ولكن هذا الترتيب لم يلق قبولا من طرف المعجميين العرب الآخرين الذين شعروا أنه يؤدي إلى التعتيم على العلاقات الصرفية والدلالية القائمة بين أفراد الأسرة اللفظية الواحدة المشتقة من نفس الجذر.

وعلى أي حال، لما كان الترتيب الجذري يسبب صعوبات لغير المتخصصين والتلاميذ، فإن بعض المعجميين العرب مالوا إلى تبني ترتيب مداخل المعجم حسب هجاء المفردات لا الجذور. فاضطلع الشيخ محمد النجاري المصري (المتوفى عام 1914) بإعادة ترتيب معجمين تراثيين شهيرين هما (لسان العرب) و(القاموس المحيط) طبقا لهذا النوع من الترتيب. كما اختار هذا الترتيب عبد الله العلايلي(1914–1997) في معجمه (المرجع)–1963– وجبران مسعود (1930–) في معجمه (الرائد)–1964– وفؤاد إفرام البستاني في معجمه المنجد الأبجدي–1967–، وهو طبعة مختصرة لمعجم المنجد، وخليل الجر في معجمه (لاروس)–1973.

4.3 ترتيب المداخل الفرعية:

وقد واجهت المعجمية العربية زمنا طويلا صعوبة أخرى تتعلق بترتيب مشتقات الجذر الواحد داخل مادة المدخل. فقبل القرن التاسع عشر الميلادي لم يتبع المعجميون العرب ترتيبا محددا للمداخل الفرعية، فكانوا يبدأون مرة بالفعل ومرة بالمصدر، ومرة باسم الفاعل، وهكذا. وللوهلة الأولى، قد يتبادر إلى الذهن أن هذا الاضطراب في الترتيب راجع إلى انتماء المعجميين إلى مدرستين لغويتين مختلفتين، تزعم إحداهما أن الفعل التام (الماضي) هو الصيغة الأصلية التي تشتق منها بقية أفراد الأسرة اللفظية، في حين ترى الأخرى أن المصدر هو الأصل. ولكن نظرة فاحصة تبين لنا أن ذلك ليس سبب الاختلاف الحقيقي، إذ إننا نجد في المعجم الواحد مداخل تبدأ بالفعل وأخرى تبدأ بالمصدر وثالثة تبدأ بالنعت، وهكذا، وحتى إذا بدأ المعجمي

بالفعل فإن بقية صيغ الأفعال المشتقة منه لا تتبع ترتيبا معينا.

لقد مارس المعجميون العرب ترتيبات متعددة، حتى منتصف القرن العشرين حين استخدم مجمع اللغة العربية ترتيبا منطقيا للمداخل الفرعية في معجمه (الوسيط)[32]. ولقي هذا الترتيب قبولا من لدن مصنفي المعاجم.

وترتب المداخل الفرعية في المعاجم العربية المعاصرة على النحو التالي:

- يدرج الفعل الثلاثي المجرد أولاً حسب الترتيب الآتي: فَعَلَ، فَعُلَ، فَعِلَ، ويلاحظ أن ترتيب الحركات (الفتحة، الضمة، الكسرة) يتناسب مع ترتيب حروف المد وموقعها في الأبجدية (ا.و.ي)
- تدرج الأفعال الثلاثية المزيدة بعد الفعل الثلاثي المجرد، على النحو الآتي:
  - الفعل المزيد بحرف
  - الفعل المزيد بحرفين
  - الفعل المزيد بثلاثة أحرف
- تدرج بعد ذلك الأفعال المزيدة بالتضعيف فالمزيدة بالألف، ثم المزيدة بالهمزة: صَعَّد، صاعد، أصعد.
- يدرج الرباعي المجرد حسب تسلسل أحرفه، ثم المزيد بحرف، فالمزيد بحرفين.
- تدرج، بعد ذلك، مصادر الأفعال والأسماء مرتبة ألفبائياً.

4.4 - ترتيب المعاني:

ما تزال مشكلة ترتيب معاني المفردات ذات الاشتراك اللفظي تواجه المعجميين العرب المعاصرين، على الرغم من التقدم الملموس الذي أحرزه علم اللغة وعلم المعلوميات والتوثيق.

إن مقاربة المعجميين المحدثين تجاه هذه المشكلة تنحو إلى ترتيب المعاني المختلفة طبقا لأحد أنواع الترتيب التالية:

أ- **ترتيب الشيوع**، وترتب فيه المعاني طبقا لشيوعها ابتداء بالأكثر شيوعا وانتهاء بالأقل شيوعا. وهذا المبدأ الذي تبنته الأكاديمية الفرنسية في معجمها، هو المعول عليه في المعاجم المخصصة لتعلمي اللغة بوصفها لغة أجنبية كما هو الحال في معجم أكسفورد للمتعلمين المتقدمين.

ب- **الترتيب التاريخي**، وترتب المعاني المختلفة بموجبه حسب تاريخ ظهورها في اللغة، كما هو الحال في معجم أكسفورد ومعجم لتريه Littré الفرنسي ومعجم روبر الصغير Le Petit Robert الذي تولى تحريره المعجمي الفرنسي المعروف ألن رَي Rey.

جـ- **الترتيب المنطقي**، الذي ترتب فيه المعاني من المحسوس إلى المجرد، ومن الحقيقي إلى المجازي، ومن العام إلى الخاص وهكذا.

ومعروف أن الترتيبين الإحصائي والتاريخي يتطلبان بحثاً لم تكن تتوافر أسبابه وأدواته للمعجميين العرب الأوائل، ولهذا فإن معظم معاجمهم كان يعاني

عدم التساوق في ترتيب المعاني المختلفة.

وقد انكب الزمخشري (1075–1144م) على معالجة هذا المشكل في معجمه الشهير (أساس البلاغة). ولما كان الأدباء في عصر الزمخشري مولعين باستخدام الأساليب البلاغية والبيانية في شعرهم ونثرهم، وتزويقها بالاستعمالات المجازية للمفردات، فإن الزمخشري راعى حاجة مستعملي المعجم ورتب المعاني في مداخله بطريقة منتظمة: المعنى الحقيقي أولا فالمعنى المجازي. وقد أعلن هذا المبدأ في مقدمة معجمه[33].

ولقد تبنى مجمع اللغة العربية بالقاهرة مبدأ الزمخشري في ترتيب معاني المداخل في (المعجم الوسيط). ولا يطبق هذا المبدأ في جميع المعاجم العربية الحديثة فـ (المعجم العربي الأساسي) يتبنى مبدأ الشيوع في ترتيب المعاني، لأنه عد لمساعدة متعلمي العربية من غير الناطقين بها.

ويزمع مجمع اللغة العربية بالقاهرة إعداد معجم تاريخي للغة العربية، وفيه ستورد المعاني طبقا للترتيب التاريخي. ولكن هذا المشروع معقد وبحاجة إلى كثير من البحث، لأن العربية لغة غنية ويمتد تاريخها إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام.

5- خصائص المعجمية العربية

وبعد أن عرضت في الصفحات القليلة الماضية الصعوبات التي واجهتها المعجمية العربية، فإن من العدل أن نتطرق الآن إلى مزاياها والمنجزات التي حققتها. وعندي أن أهم ما أجادت فيه هو قدرة المعجميين العرب على تزويد مستعمل المعجم بمعلومات صوتية ونحوية كافية وإمداده بمجموعة من الشواهد التوضيحية والمعلومات الموسوعية، واستطاعت المعاجم العربية أن تكون وصفية ومعيارية في آن واحد.

5.1- معاجم وصفية ومعيارية:

يمكن أن تتبلور توجهات المعجمي الوصفية أو المعيارية في ناحيتين منفصلتين من نواحي صناعة المعجم هما: اختيار المادة المعجمية، وغرض المعجم موضوع الصنع. فالمعجم الوصفي يصف المادة اللغوية كما يستخدمها أهلها في الوقت الراهن وصفا موضوعيا، في حين أن المعجم المعياري يصف المادة اللغوية كما كانت تستعمل في عصر أو أكثر من عصور تطورها، وعلى الأكثر في عصرها الذهبي [34]. وبالإضافة إلى ذلك فإن غرض المعجم المعياري هو إخبار مستعملي المعجم- بواسطة الملاحظات الخاصة بالاستعمال- عن الاستعمالات اللغوية الفصيحة الصحيحة والاستعمالات غير الفصيحة والخاطئة.

قد يبدو تناقض في نعت المعاجم العربية التراثية بالوصفية والمعيارية في آن واحد، بيد أن رواد المعجمية العربية كانوا وصفيين من حيث جمعهم لمادتهم واختيارهم لمداخلهم، وكانوا معياريين من حيث الهدف الذي نصبوه لمعاجمهم. فقد جمعوا مادتهم من عرب البادية الذين لم تفسد العجمة ألسنتهم، ومن المصادر المدونة وفي مقدمتها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأشعار العرب وحكمهم وأمثالهم. ومن ناحية أخرى، فإن الهدف كان معياريا أي لمساعدة القارئ على استعمال اللغة العربية بصورة صحيحة. ومما يسوغ

هذا الهدف المعياري ظاهرة الازدواجية في اللغة العربية، حيث يوجد فيها مستويان رئيسان من مستويات الاستعمال: الفصحى والعامية. "وتستخدم الفصحى في التعليم وعند الكتابة وفي المناسبات الرسمية، ولكنها لا تستعمل عادة في المحادثة الاعتيادية".[35]. فاللغة الفصحى أو الأدبية هي لغة القرآن الكريم وهي اللغة المشتركة لأبناء الأمة العربية على اختلاف أقطارهم ولهجاتهم.

ويمكن أن نأخذ ابن دريد (837–933م)، مؤلف معجم (الجمهرة) مثالا توضيحيا للمعجميين الذين كانوا وصفيين ومعياريين في الوقت نفسه. فقد جمع مادة معجمه من مشافهة الأعراب في جنوب الجزيرة العربية حيث لجأ بعد فتنة حدثت في البصرة، أما هدف (الجمهرة) فقد كان معياريا خالصا، أي لمساعدة الناس على التحدث بالعربية بصورة صحيحة[36].

ويعد الجوهري (المتوفى عام 1003م) مثالا آخر على المعجميين الوصفيين المعياريين. فقد وصف طريقته في جمع مادته اللغوية في مقدمة معجمه الذائع الصيت (الصحاح) [37].

وعلى أية حال، ينبغي أن نشير إلى أنه خلال فترة ركود الثقافة العربية(من القرن الثالث عشر إلى القرن التاسع عشر الميلاديين) كانت المعاجم المصنفة آنذاك معيارية في مقاربتها الخاصة باختيار المداخل والشواهد التوضيحية، أما مداخلها فقد نقلت من المعاجم السابقة وأما شواهدها التوضيحية فقد اختيرت من العصر الجاهلي وصدر الإسلام فقط.

أما المعاجم العربية العصرية فتجمع مادتها من اللغة الفصحى المكتوبة وليس من اللغة المنطوقة التي عادة ما تكون دارجة عامية. وتنتسب مصادر المعجم العربي المعاصر إلى جميع عصور اللغة (من القرن الخامس إلى القرن العشرين الميلاديين) ومن مختلف المستويات اللغوية: من القرآن الكريم حتى الصحافة اليومية. وتتطلب هذه الشمولية من المعجمي بحثا معمقا واستقصاء كاملا ليحقق التوازن بين مصادره مما يجعل عمله يكلل بالصعوبة.

5.2- المعلومات الصوتية في المعجم العربي.

تعد الكتابة العربية الكاملة الشكل (الحركات)، نظام كتابة فونيمية (صوتية) يقوم كل حرف فيها بتمثيل فونيم (صوت أساسي) واحد، ولا يمثل الفونيم الواحد بأكثر من حرف واحد. وجميع المقابلات الفونيمية (الصوتية) مثل سم /ثم، كلب/قلب مسجلة في نظام الكتابة العربية [38]. ونتيجة لذلك، فإن المعاجم العربية لا تحتاج إلى إعادة كتابة لغة المدخل برموز صوتية كما هو الحال في المعاجم الإنجليزية أو الفرنسية، ولكن بشرط أن تكون المداخل العربية مشكولة بالشكل التام.

ومن حسن الحظ، فإن الطباعة بالحاسوب قد يسرت إضافة الشكل إلى النصوص المطبوعة. ولكن عندما كان النساخ يتولون نشر الكتب حصل كثير من الأخطاء الإملائية والصوتية في المعاجم. ومع ذلك فإن المعجميين العرب منذ القرن الثامن الميلادي كانوا ينبهون إلى التلفظ الصحيح عند الضرورة بطرائق عديدة.

وكان تزويد القارئ بالمعلومات الصوتية يقوم في المعاجم العربية التراثية على الأسس التالية:

أ-لا تعطى المعلومات الصوتية إذا كانت معروفة للقارئ، فلا تُشْكَل الكلمات المألوفة التي من المتوقع أن يُلم بها القارئ.

ب- إن المعلومات الصوتية ضرورية عندما يُخشى اللبس أو التحريف في النسخ، أو عندما تكون الكلمات صعبة أو حوشية، أو عندما يكون للكلمة عدة أنواع من الشكل للمعنى ذاته أو للدلالة على معان مختلفة.

وعندما يكون تقديم المعلومات الصوتية ضروريا يستخدم المعجميون العرب واحدة أو أكثر من الطرائق الآتية:

أ) إضافة الشكل التام (الحركات) للكلمة.

ب- تهجية الحركات بعد كل حرف صامت، مثلا: جرة، كسرة بعد الجيم وفتحة بعد الدال، أو جيم كسرة، دال فتحة. وهذه الطريقة مثلاً مستعملة بصورة منتظمة في معجم (الصحاح) للجوهري.

جـ- تزويد القارئ بفعل نموذجي (أو بالوزن الصرفي) بعد الفعل المراد توضيح لفظه مثلاً: كما في ضَرَبَ، وهكذا فالقارئ يفهم من ذلك أن الحركة الوسطى هي فتحة في الماضي وكسرة في المضارع. أما إذا كان اللفظ اسماً فالمعجمي يزود القارئ باسم نموذجي له التلفظ نفسه. مثلا: (فضل) كما في (مَهْل).

والطريقتان (ب) و(ج) متبعتان في معجم (البارع) لأبي علي القالي (893-967م)، الذي ما زالت مخطوطته الكاملة مفقودة مع الأسف، ولم يتم العثور إلا على جزئين من المعجم نشرهما عام 1931 ويلتون، محافظ المكتبة الشرقية في المتحف البريطاني[39].

وفي الوقت الحاضر، يمكن أن نفترض- من غير أن نجانب الصواب- أن الطباعة العصرية بالحاسوب يسرت إضافة الشكل الكامل لمواد المعجم. ومع ذلك، فإن أخطاء الرقن والطباعة قد حلت محل أغلاط التصحيف والتحريف التي كان يقع فيها النساخ القدامى. وليس نادرا أن يلجأ بعض الكتاب المعاصرين إلى طرق بالية لضبط الإملاء والشكل فيضعون أسماء الحركات بين هلالين بعد الكلمة إمعانا في التوثيق.

5.3 المعلومات النحوية

إن قاعدة بلومفيلد الشهيرة "المعجم فهرس للنحو" كانت متبعة بأمانة في المعاجم العربية، فالمعجميون العرب وضعوا هذه القاعدة وطبقوها قبل اثني عشر قرنا من ميلاد بلومفيلد. واشتمل أول معجم عربي متكامل (كتاب العين) على مقدمة لخصت نحو اللغة العربية، وتضمنت مواد المعجم إحالات على هذه المقدمة. واتبع معظم المعاجم العربية اللاحقة هذا التقليد، حتى تلك المعاجم الوجيزة مثل (مختار الصحاح) الذي صنفه محمد بن أبي بكر الرازي (المتوفى عام 1268م). ففي مقدمة المعجم نجد أنماط الأفعال العربية الكبرى العشرين بتصريفاتها

وشروحها. وفي مداخل المعجم لا نجد تصريفا للفعل وإنما ذكر نمط ذلك الفعل فقط. وتحقق هذه الطريقة الاقتصاد. واعترف هنا أن هذه الطريقة هي أكثر تطورا من الطريقة المستعملة في (المعجم العربي الأساسي) الذي تحملت مسؤولية تنسيقه ونشرته الألكسو/ لاروس في باريس عام 1989. ولعل عذرنا في ذلك أننا اتبعنا طريقة أقل تعقيدا لأن معجمنا كان مصنفا لخدمة المتعلمين من غير الناطقين بالعربية.

لقد أبدى المعجميون العرب اهتماما عميقا في القضايا النحوية. وفي حقيقة الأمر، كان النحو الأساس الذي ترتب عليه الألفاظ في عدد من المعاجم الأولى. فقد قسم الخليل بن أحمد فصول معجمه (العين) حسب عدد أصول المفردات: فقسم للكلمات الثنائية الجذر، وقسم للكلمات الثلاثية الجذر، وقسم للكلمات الرباعية والخماسية، وهكذا. وقسم الفارابي مكنزه (ديوان الأداب) إلى أسماء وأفعال.

وضمن المعجميون العرب مداخل معاجمهم معلومات عن اشتقاق المفردات وتأصيلها وتأثيلها. ومن الأمثلة على ذلك معجم (الصحاح) الذي أشار إلى الكلمات المعربة، وتتبع أصول بعض المفردات في لغات أخرى.

5.4- الشواهد التوضيحية

يعد استعمال الشواهد التوضيحية أحد الخصائص الرئيسة في المعجم الجيد؛ إذ تقوم الشواهد بمهمة الأداة التعليمية في توضيح سلوك الكلمة نحويا ودلاليا وأسلوبيا في سياق حي.

ولم تعرف المعجمية الإنجليزية الشواهد التوضيحية حتى عام 1755 عندما استعملها الدكتور جونسن في مصنفه الشهير (معجم اللغة الإنجليزية). ويعد استعمال الشواهد التوضيحية مساهمة جونسون الرئيسة في تطوير صناعة المعجم الإنجليزي [40].

أما في حالة المعاجم العربية، فلم يكن تضمين الشواهد التوضيحية فيها مسألة مطروحة للنقاش. فقد اتبع المعجميون العرب دائما تقليد استخدام الشواهد بصورة مكثفة إن لم يكن بصورة منتظمة. وقد أرسى هذا التقليد أبو المعجمية العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي في القرن الثامن الميلادي.

ومع ذلك، يجدر القول إنه بالإضافة إلى وظيفة الشواهد التوضيحية التي ذكرناها قبل قليل، فإن المعجميين العرب استعملوها لغرضين آخرين هما: أولا، للبرهان على أن تلك الكلمة موجودة في اللغة، وثانيا، للدلالة على أن تلك الكلمة لها معنى معين آخر قد لا يكون القارئ أو الناقد قد اطلع عليه من قبل. وهذا يفسر لنا سبب وجود بعض الشواهد التي تشتمل على كلمات أصعب من كلمة المدخل المراد توضيحها، بحيث يضطر المعجمي إلى شرح معنى الشاهد فضلا عن مساعدة القارئ على فهمه إياه.

إن المصادر الرئيسة التي يستقي منها المعجميون العرب شواهدهم هي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وشعر العرب ونثرهم وأمثالهم. ويميل معظم المعجميين العرب في العصور الوسيطة إلى المنهج المعياري في اختيار شواهدهم فيقتصرون على اقتباسها

من العصر الجاهلي وصدر الإسلام (حتى القرن التاسع الميلادي)، بحيث تعد تلك المدة في نظرهم "العصر الذهبي" للغة العربية عندما كانت نقية لم تختلط فيها ألسنة العرب برطانة الأعاجم.

وعلى الرغم من أن المعجميين العرب المعاصرين لا يصرون على التوثيق الكامل لشواهدهم لأنهم لا ينظرون إلى من قال وإنما ينظرون إلى ما قال وكيف قال ما قال كما هو الحال في (المعجم العربي الأساسي)، فإن رواد المعجمية العربية كانوا عادة يشيرون إلى مصادر شواهدهم ما لم يكن الشاهد مثلا أو قولا سائرا مجهول القائل. وفي تلك الحالة، فإن المعجمي يستعمل عبارات مثل: "وقال الشاعر..."، و"قال الآخر..."، و"قال بعضهم...".

5.5 أسماء الأعلام في المعجمية العربية

يقسم النحويون الأسماء إلى اسم نكرة واسم علم، وعلى الرغم من أنه يصعب أحيانا التفريق بين النوعين من الناحية اللغوية، فإنه يمكن القول دلاليا إن اسم النكرة يشير إلى صنف في حين يدل اسم العلم على الواحد من ذلك الصنف. وأسماء الأعلام هي أسماء أشخاص أو أماكن (مثل البلدان، والمدن، والجبال، والأنهار، الخ)، أو أحداث (مثل أسماء الأعياد، والوقائع الحربية، الخ)، أو منتجات ثقافية (مثل عناوين الكتب والملاحم والروايات والأفلام، الخ).

من حيث المبدأ، لا يعنى المعجم بأسماء الأعلام، وإنما بالمواد المعجمية. فمكان أسماء الأعلام هو الموسوعات والمعاجم الموسوعية. ولهذا فإن هذه المداخل تسمى بالمواد غير المعجمية أو المواد الموسوعية.

وعلى أية حال، فإن معظم اللسانيين المعاصرين الذين يكتبون عن المعجمية أو يمارسونها فعلا يرون أن من المفيد أن تشتمل المعاجم على المعلومات الموسوعية لمساعدة القارئ الذي يبحث عنها في المعجم[41].

وفي اللغة الإنجليزية، لم تشتمل المعاجم على المواد غير المعجمية حتى ظهور أول معجم موسوعي عام 1872[42]. ويرفض مصنفو المعاجم ذات المجلد الواحد تضمين المواد غير المعجمية في معاجمهم حتى لو كانت تلك المواد ضرورية لفهم مواد أخرى مدرجة في تلك المعاجم. ومن الأمثلة على ذلك ما نجده في معجم (وبستر المدرسي السابع الجديد):

محمدي Muhammadian: " متعلق بمحمد أو الإسلام".

وإذا أراد القارئ أن يبحث عن (محمد) أو (الإسلام) في المعجم فإنه يصاب بخيبة أمل لأن الاسمين غير مدرجين بالمرة إذ أن المعجم لا يتضمن أسماء الأعلام.

واتبعت المعجمية الفرنسية تقليدا أرست أسسه الأكاديمية الفرنسية في معجمها الذي صدر أول مرة عام 1694. فهي لا تضمن أسماء الأعلام مطلقا إلا إذا كان اسم العلم قد تحول بالاستعمال إلى اسم نكرة أو نعت، كما في عبارة "إنه *مرقل*" أي قوي. واتبعت بقية المعاجم الفرنسية هذا التقليد مثل معجم روبير الصغير ومعجم لاروس. ولأسباب تجارية وتسويقية

تضم طبعات معينة من هذه المعاجم ملحقا بأسماء الأعلام.

وفي الوقت الحاضر، تتضمن المعاجم الأوربية ملحقا بأسماء الأعلام والأسماء الجغرافية مع معلومات مختصرة عنها. وتقف المعجمية العربية في المعسكر المقابل، فمنذ البداية كانت أسماء الأعلام تضمن في صلب المعجم العربي، حتى في المعاجم الصغيرة الحجم. فالخليل بن أحمد أدرج أسماء الأعلام في معجمه (العين) الذي صدر في منتصف القرن الميلادي والذي يتضمن أسماء عدد من العلماء المعاصرين للمؤلف.

ومع ذلك، فإن تضمين أسماء الأعلام في المعاجم العربية كان محدودا نوعا ما حتى صنف الفيروزآبادي معجمه (القاموس). ففي هذا المعجم نجد معالجة مستفيضة لجميع أنواع أسماء الأعلام مثل الأماكن، والقبائل، والسيوف، والجن، والخيول، والكلاب، الخ..

وفي القرن التاسع عشر توصل المعجميون العرب إلى اقتناع مفاده أن المعجم ليس بالمكان الملائم لأسماء الأعلام والأسماء الجغرافية، فالمعجم المخصص للقارئ العام يجب أن يركز على اللغة لا على التاريخ والجغرافية والفلسفة وما إلى ذلك. وقد تبنى هذه الفكرة أحمد فارس الشدياق (1804–1888) في نقده لمعجم الفيروز آبادي (القاموس المحيط) [43]؛ وطبق هذه الفكرة بطرس البستاني (1819–1883) في معجمه (قطر المحيط) [44] الذي يعد طبعة مختصرة لمعجم (محيط المحيط)، كما أخذ بهذا المبدأ لويس معلوف (1846–1946) في معجمه الواسع الانتشار (المنجد) الذي صدر عام 1908 والذي خصص بأكمله للمواد المعجمية فقط [45].

وأخيرا فقد أقر مجمع اللغة العربية هذا التوجه ونحى جميع أسماء الأعلام والأسماء الجغرافية من معجمه الموسوعي (المعجم الوسيط) الذي نشر لأول مرة عام (1960–1961)

أما في (المعجم العربي الأساسي)[46] الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1989، فقد كان اختياري الشخصي، بوصفي منسقا للمعجم، تضمين أسماء الأعلام فيه، لأن هذا المعجم متخصص لمساعدة المتعلمين بصورة عامة وغير الناطقين بالعربية منهم بصورة خاصة. وهذا الصنف من المستعملين يبحث عادة في المعجم عن المواد الموسوعية كذلك.

هوامش

1-E.A.Speise ,"Ancient Mesopotamia: A Light that did not fail" in National Geographic Magazine Jan.1951, p.66.

2- For Sumerian and Assyrian lexicography, see : C.F.Jean. La Littérature des Babyloniens et des Assyriens, Paris, 1924, p.281 ff; P.E. Van der Meer, Sylibaries A,M' and B, with miscellaneous lexicographical texts from the Herbert Weld Collection, Oxford, 1938; Stephen Langdon , Sumerian Grammatical Texts, Philadilphia, 1917; and Cuneiform Texts From Babylonian Tables in the British Museum, Part X, 1, 1900 (As mentioned in John A. Haywood, Arabic Lexicography (Leiden; E.J. Brill, 1965) p.5. Also see « Dictionary » in Encyclopaedia Britannica.

3- E.A Speiser , op. cit., p.45.

4- Haywood, op. cit., pp.5-7.

5- Encyclopaedia Universalis, volume 5,p.555. In the original text reads as follows : « Les premières formes, souvent très rudimentaires, des dictionnaires sont nées avec les premières civilisations à écriture, en Mésopotamie au 2 e millénaire, en Egypte 1750 ans avant notre ère, pour répondre aux besoins pratiques de la communication humaine entre des groupes différents. Les dictionnaires « scientifiques » ne paraîtront que beaucoup plus tard ».

6- القرآن الكريم، سورة العلق: 1-5.

7- Shorter Encyclopaedia of Islam , (Leiden : E.J. Brill, 1991).

8- حسين نصار، المعجم العربي (القاهرة: مكتبة مصر، 1968) ص ص40-45.

9- As in Haywood, op.cit, p.115. It should be pointed out that Al-Tha'alibi was an outstanding man of letters and a great lexicographer, and this double qualification enabled him compile the first complete dictionary of quotations in Arabic entitled AL-Tamthil wal Muhadara.

10- أحمد أمين، ضحى الإسلام (القاهرة: النهضة، 1956)ص ص263-266.

11- Haywood, op. Cit.p. 123.

12- أحمد الشرقاوي إقبال، معجم المعاجم(بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1987).

13- حديث شريف متفق عليه.

14- القرآن الكريم، (52 ك المؤمنون 23).

15- إميل يعقوب، المعاجم اللغوية (بيروت: دار العلم للملايين، 1981) ص ص195-197.

16- إقبال ، المصدر السابق ص ص: ب-جـ

17- G. Mallinson, « The dictionary and the lexicon : a happy medium ?»in ITL,45-46(1979), pp.10-18.

18- Encyclopaedia Britannica (Chicago :Ency. Brit.Inc ; 1960).

19- Oxford Advanced Learners' Dictionary of Current English (Oxford :Oxford Univ .Prss , 1974).

20- The word « genius » in many modern Euronean languages is etymologically derived from the Arabic word « jinn ».

21- Shorter Encyclopaedia of Islam, its article on AL-Khalil.

22- الخليل بن أحمد،كتاب العين (بغداد، 1913) المقدمة.

23- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط (القاهرة: دار المعارف 1972 ط2).

24- Hans Wehr, A Dictionary of Modern Written Arabic, ed. By J. Milton Cowan (beirut : Librairie du Liban, 1980).

25- عبد السميع محمد أحمد، المعاجم العربية (القاهرة: دار الفكر العربي، 1974)ص ص46-47.

26- المصدر السابق.

27- الجوهري، الصحاح (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1956).

28- Haywwod, op. cit .p. 73.

29- أحمد عبد الغفار العطار، مقدمة معجم الصحاح، المصدر السابق.

30- عبد العلي الودغيري، قضايا المعجم العربي (الرباط : منشورات عكاظ، 1989) ص156.

31- الزمخشري، أساس البلاغة (بيروت: دار المعرفة، 1979).

32- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (القاهرة: مجمع اللغة العربية، 60- 1961).

33- الزمخشري، المصدر السابق، المقدمة.

34- Al-Kasimi, Linguistics and Bilingual Dictionaries, (Leiden :E.J. Brill, 1977), pp.27-28.

35- Charles A. Ferguson, « Diglossia » , Word ,15 (1959),p.336.

36- ابن دريد، الجمهرة، المقدمة.

37- الجوهري، الصحاح، المقدمة.

38 - Al-Kasimi, op.cit., p.37.

39- أميل يعقوب، المصدر السابق، ص ص61-62.

40- James Sledd and Gwin Kolb, Dr Johson's Dictionary (Chicago the Univ.of Chicago Press, 1955).pp.41-43.

41- Al-Kasimi.op. cit., pp.30-31.

42- Robert Hunter's Encyclopedic Dictionary was begun in 1872 and completed in 1889.

43- فارس الشدياق، الجاسوس على القاموس (القسطنطينية: مطبعة الجوائب ، 1299هـ).

44- بطرس البستاني ، قطر المحيط

45- لويس معلوف، المنجد(بيروت، 1908).ومنذ عام 1930 أخذت طبعات المنجد المتلاحقة تضم ملحقا للأعلام.

46- تم إعداد المعجم العربي الأساسي بإشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ونشرته لاروس عام 1989 .

- 3 -

أوراق العمـــــــل

- إنجازات المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية

د. يعقـــوب الشـــــــراح

- البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم)

د. عبد الرحمن الفاضـــــل

- الذخيـــــرة اللغـــــويـــــة

د. عبد الرحمن الحاج صالح